خيالُ الظلّ

. عـمـرو كـيـلانـي ❖ .

❖ ألا يحلمُ الظلُّ يا صاحبي؟

❖ بلى. حين يخلو الإلهُ إلى نفسهِ،

وتخلو الحياةُ إلى نفسها،

ويُتركُ هذا المدى للظلامْ.

يظلُّ وحيداً، يفتّشُ عن نفسهِ في المعاني،

ويَرفع جثّتهُ كالأغاني

رويداً رويداً، لتعلو على ما علا من رُكامْ.

ينفّضُ رائحةَ الآخرينَ الكريهةَ عنها

وينزعُ ذاكرةً لم تعد تعنيهِ منها

ويفركُها جيّداً بالندى والخُزامْ.

هو الآنَ ما يشتهي، لا ـ كما كان ـ ما يُشتهى

عيونٌ تجوعُ إلى ما سيأتي، وقلبٌ تخلّصَ ممّا انتهى،

وروحٌ بلا جسدٍ أو مقامْ.

❖ وماذا يرى يا تُرى في المنامْ؟

❖ يرى الأرضَ تنفثهُ من خلال الصخورْ

دمًا جامداً يبّستْهُ العصورْ.

تقولُ: «ارتفعْ يا بنيَّ، ارتفعْ قد هوى مَنْ عَلاكْ!

أتى زمنٌ آخر يشتهي أن يراكْ،

تلفّتْ! أمامَكَ هذا المدى لوحةٌ ناقصةْ.

وخلفكَ خالٍ. عناكِبُ تنسجُ ثوبَ البياضِ

على مُقَلِ الرَّدى الشاخصةْ.

فقمْ وانتثرْ يا بنيَّ، انتثرْ في الجهاتْ!

فما عدتَ مسخًا تلوحهُ الريحُ بين الحياةِ وبينَ الممات.»

يُحرّكُ طاحونة العُمر الواقفةْ،

وتقلبُ ساعةَ رملِ الحياةِ أصابعُهُ الخائفةْ،

ليجري الزّمانْ

قطيعًا من الخيلِ فوق المكانْ.

فيعرفُ أنّ الذي كان يعرفهُ لم يكن يعرفهْ

وأنّ الذي ظنّهُ غيرَه يُشْبِههْ

وصار يرى دمَهُ ـ حين يُطعنُ في الخاصرةْ ـ

يسيلُ ويرسمُ آلامهُ

دوائرَ تولدُ في ذاتها، وتوغلُ دائرةً دائرةْ

وصارت لهُ لُغةٌ لملمتْها يداهُ من الطرق المُهمَلةْ،

ومن حَيْرةِ الواقفينَ وحيدينَ في ظلمةِ الأسئلةْ.

وصارت تعذّبهُ صرخةُ الخائفينْ

وتوجعهُ ـ حين تكسرُ أضلاعَهُ ـ أرجُلُ الفاتحينْ.

وصارَ لهُ صوتُهُ ، حينَ يحلبهُ من ضروعٍ عميقةْ

يعرّف عن نفسه للبراري:

«أنا، لا سواي، الحقيقةْ».

❖ ـ شاعر وطبيب أسنان من سوريا.

يرى أنّهُ صار شكلاً
وصارت لأنفاسهِ حصّةٌ في الهواءْ.
يرى كلَّ شيءٍ أحنَّ وأحلى
وأوضحَ من نجمةٍ في العراءْ.
تُعلّمهُ القبّراتُ الغناءْ
وتُلْبسهُ دودةُ القزِّ أثوابَ أبنائها في الشتاءْ.
تعرّي له الرّيحُ أجسادَها عن حكايا طويلةْ
ويشكو لهُ الكونُ أحلامَه المستحيلةْ.
ويبكي السحابْ
على أرضِ راحتهِ القاحلةْ.
وتعوي الكلابْ.
فيصحو على ضجّةِ الليلةِ الراحلةْ.

❖ وماذا، وماذا يرى بعد هذا؟
❖ يرى الضوءَ يدهنُ وجه الحياةْ
بألوانِه الفاقعةْ.
ويهمي لتشربهُ الكائناتْ
فتوقظُها الطعمةُ اللاذعةْ.
لقد عاد كلٌّ إلى عملهْ
وعاد الإلهُ إلى مللهْ
وعادت إلى شُغْلها الأبديِّ الظلالُ:
تُطَمْئِنُ أسيادَها أنهم لم يزالوا....

وأسكتُ، يسكتُ، نمشي ونكملُ دربَ الأبدْ
أنا وصديقي ومن تحتنا لا أحدْ.

سوريا